2000-0108-0001a-E

المصدر : السفير **التاريخ** : Jan 08, 2000 **اسم المؤلف** : عيسى سامية

والدة المخطوف سمعان جدع:
»لم أعد أعرف كيف أحزن«

والدة سمعان تبحث عنه في صور الماضي
Photos/2000/Jan2000/1947716472.JPEG

لم تستطع بطاقة الصليب الاحمر التي يحملها جدع ان تحميه من الخطف في التاسع عشر من آب العام 1985. فقد اصر الخاطفون على رؤية بطاقة الهوية او اخراج القيد للتحقق من »طائفة سمعان«، ولا سيما ان سمعان كان يستقل سيارة عمه المدنية ليعبر جسر البربير باتجاه المتحف والعودة الى ذويه بعد نهار شاق قضاه في نقل الجرحى والمصابين بمتفجرة كركول الدروز ذلك اليوم. فقد كان سمعان متطوعا في الصليب الاحمر اللبناني.

الشخص الوحيد في السيارة الذي نجا من الخطف يومها كانت امرأة تدعى منى حداد، هي جارة سمعان في عين الرمانة، انزلت منى من السيارة على الرغم من توسلاتها للخاطفين بالبقاء مع سمعان وعمه. فقد ظنت منى انها ببقائها معهما قد تتمكن من حمايتهما او اعادتهما الى المنزل معولة على وجود »شهامة لدى الخاطفين« تدفعهم للنزول خجلا عند امرأة تقضي التقاليد والاعراف اللبنانية... باحترامها.

انزلت منى من السيارة، واقتيد سمعان جدع وعمه كمال داخل سيارة العم الى جهة مجهولة.. ولم يعودا حتى اللحظة. ركضت منى باتجاه المتحف تحت تهديدات الخاطفين بأن ترحل »وإلا بتشوفي شو منعمل فيكي«، حين وصلت الى فرن الشباك دخلت الى احد المباني واتصلت بزوجها لابلاغه بما حصل علّ آل جدع يتحركون سريعا لاطلاق الابن والعم، كان سمعان في ذلك الوقت في الرابعة والعشرين من عمره.

»لم ندع احدا او جهة، الا واتصلنا بها«، تقول ليلى جدع والدة سمعان، »لكن بدون جدوى!« »لم تشفع لابني خدماته التطوعية في الصليب الاحمر وحياده في انقاذ حياة الناس. كما لم تشفع له بطاقة الجامعة الاميركية (ID) حيث يدرس الكومبيوتر، ويعمل في قسم الدخول في مستشفى الجامعة الاميركية. لم تشفع له حتى اشارة الصليب الاحمر المعلقة على ذراعه ودماء المصابين الذين نقلهم ولوثت ثيابه«.

حين خرج الى العمل ذلك اليوم طلبت ليلى من ابنها الا يخرج »فقد صادف ان حصل انفجار في اليوم السابق في منطقة ذوق مكايل وتوقعت ان يردوا على الانفجار بانفجار او بعدة انفجارات تعرض حياة سمعان

للخطر، اذ جرت العادة في تلك الايام ان يلحقوا الانفجار بانفجار آخر في المنطقة نفسها بعد ان يتجمع الناس والمسعفون في ساحة الحدث، لانقاذ المصابين وانتشال الجثث«.

»كان من طبيعة عمل سمعان ان يكون اول الحاضرين لاسعاف الجرحى، لا يفرق بين هوياتهم او انتماءاتهم الطائفية. كان شجاعا ومعطاء. لا يترك سانحة لمد يد المساعدة للآخرين. فلماذا يكافأ شخص مثله بالخطف؟ ماذا فعل لهم؟ لو فعل لهم شيئا حق عليهم الآن، اطلاق سراحه وقد مضى اربعة عشر عاما على خطفه«.

حاول والدا سمعان ترك لبنان مرات عدة قبل تعرض احد ابنائهم للاذى »لكن لسوء الحظ، كلما حصلنا على فيزا يقفل المطار ولا نتمكن من الخروج عشنا في الكويت عشرين عاما قبل ان نعود الى لبنان في اوائل السبعينات، وهناك انجبت اولادي: بنتين وصبي (سمعان).

كان عمر سمعان آنذاك تسعة اعوام فقط، ادخلناه الى المدرسة الانجيلية ومن ثم الى الجامعة الاميركية، تربى على التهذيب والاخلاق الحسنة ومحبة الناس، لم يتحزب مع احد، وكنا اول من شعر بكابوس الحرب الاهلية حين سقطت اول قذيفة في 13 نيسان 1975 في البناية المقابلة لبيتنا في عين الرمانة، اختار سمعان مذ ذاك مساعدة الناس والتخفيف من آلامهم. كان يحب الحياة ويهوى السباحة والتزلج. لكن حبه للحياة غير اناني بل جيره لخدمة الناس، ولم يترك حريقا او حياة انسان في خطر الا وهبّ للمساعدة، ذات مرة استقل طائرة هليكوبتر العام 1983 لانقاذ الناس الذين علقوا وسط الثلوج على طريق ضهر البيدر. مع ان العديدين ماتوا تحت الثلوج فقد تمكن سمعان من انقاذ آخرين. كنت اخاف عليه من القذائف والانفجارات، لكن الخطف لم يخطر على بالي ابدا«.

بهدوء غريب تتابع ليلى الحديث عن ابنها المخطوف سمعان جدع، حتى ليظن المرء لبعض الوقت انها ربما اعتادت على غيابه، او ربما فقدت الامل او تجلد احساسها بمرور الزمن. لكن، حين دنت لحظة اطلاعنا على صوره، فوجئنا »بألبومات« عديدة تحوي صور سمعان من لحظة ولادته.. وحتى لحظة خطفه.

»هنا ولد سمعان« و»هنا اول يوم له في المدرسة« و»ها هو في ثياب الكشافة.. منذ صغره يحب خدمة الناس«. و»هنا مع والده واختيه ناديا ومريم« و»ها هو يمارس هواية التزلج مع رفاقه« و»تلك كان حينها في الثامنة عشرة حين انهى دراسته الثانوية«.. الى آخر ال»هنا وهناك والحفلات واعياد الميلاد والاصدقاء.. وما اكثرهم.

لكل صورة حكاية، ومع كل حكاية ترتفع درجة التوتر عند ام سمعان تبدأ معها بالارتعاش الى ان يبلغ ارتعاشها درجة شديدة جعلت صورة كبيرة لسمعان تسقط من يدها، فتهرع بلهفة الام تلملم قطع الزجاج كمن يلملم ليالي الانتظار الطويلة وتمسح بطرف كمها صورة وليدها خشية تعرض الصورة لخدش الزجاج المحطم.

في غمرة الحطام الصغير افلتت الدموع من عقالها في عيني ام سمعان، فهرعت الى المطبخ متذرعة بتحضير القهوة التي نسيتها: »يا عيب الشوم« تقول وهي تلوم نفسها على تقصيرها بواجبات الضيافة. تنزوي ام سمعان في المطبخ لبعض الوقت تعود بعد ذلك بعينين حمراوين ورباطة جأش حاولت ان تتسلح بها لتتمكن من اكمال حكاية سمعان.

في اللحظات الاخيرة من لقائنا مع ام سمعان حرصت »ألا نذكر اسماء الاشخاص المحتمل تورطهم« في خطف ابنها وعمه، وطلبت ان نعدها بعدم »تسييس حكاية ابنها« بعد ان تلقت مخابرة هاتفية من احد افراد العائلة على ما نعتقد تنبهها من البوح بكل ما قد يساء فهمه او استعماله.. من قبل الصحافة. عجبا! الضحية تخشى جلادها »طالما لم يغلق ملف الحرب عند أهالي المخطوفين«، تقول ام سمعان ثم تضيف »بذلت الدولة جهدها، لاعادة المهجرين الى بيوتهم.. فلم لا تفعل الشيء نفسه مع المخطوفين. من اهم الحجر ام البشر؟«.

2000 0108-0001C-2

على »ألبومين« صغيرين، أطلعتنا ام سمعان على صور منزلها الذي دمرته القذائف في حزيران العام 1979 . »التقط سمعان يومها آلة التصوير وبدأ بتصوير الدمار غرفة غرفة، وضع الصور في هذين الألبومين بنفسه وأرّخ كل غرفة وزاوية وشرفة«.

ذيلت الصور بتعليقات كتبت بخط يد سمعان يحكي فيها تفاصيل عن: »غرفة من هذه؟« و»اغراض من؟« و»ماذا حدث للأمكنة وذكرياته فيها...«.

كانت لحظة مثيرة للدهشة، فلو أرّخ كل لبناني تجربته عن الحرب كما فعل سمعان، لربما لم نحتج لتأريخ حربنا، إلا بجمع هذه التجارب التجارب. لربما ادى التأريخ الى محاكمة الحرب وتحديدا اسبابها تلافيا لتجددها ولربما امكننا معاقبة مجرمي الحرب او الافراج عن المخطوفين وعن سمعان جدع وعمه.

خرجنا من الصور وهممنا بالذهاب فلحقت بنا ام سمعان الى المصعد كمن نسي شيئا يقوله او كمن يريد ان يعبر عن رغبة اخيرة تنقذها من الغرق في الحيرة والانتظار، فإذا بها تقترح على الخاطفين »لو يطلقون المخطوفين ويضعونهم على قمة جبل صنين ويتركونهم هناك فيعود كل واحد الى عائلته بمفرده... هكذا لن يضطروا للكشف عن هوياتهم.. او ربما هكذا لن يخسروا بريق السلطة التي كوفئوا بها...«.

»على الاقل تنهي ام سمعان كلامها ليقولوا لي أين سمعان: هل هو حي لأزوره ام ميت لاضع وردة على قبره. هذا ادنى حقوقي. لكن حرام ان يتركوني هكذا.. لا اعرف كيف احزن؟«.

وصلات متاحة